يهود المغرب في العصر المريني668-869هـ/ 1269-1464م
دراسة سياسية – اقتصادية

أ.د / مزاحم علاوي الشاهري
جامعة الموصل – كلية التربية
مدير مركز دراسات الموصل السابق

مقدمـة :

رصدت بعض الدراسات التاريخية في أجزاء منها أحوال اهل الذمة في دول المغرب العربي ابان القرون الاسلامية الاولى، بجهود عدد غير قليل من الباحثين الذين اولوا هذا الجانب بعض اهتمامهم، الا ان تلك الجهود تظل متواضعة اذا ما قيست بالدراسات التي تناولت اهل الذمة في المشرق الاسلامي ولأسباب مختلفة.

لذلك سعينا في هذا البحث الى دراسة (يهود المغرب في العصر المريني 668-869هـ/1269-1464م، دراسة سياسية – اقتصادية) مع استعراض لمناطق استقرارهم فيه، على الرغم من الصعوبات التي اعترضت سبيلنا وفي المقدمة منها شحة المادة التاريخية عنهم، وهو ما دفع بعض الباحثين المختصين بالتاريخ المريني ومنهم العلامة مُحَمَّد المنوني رحمه الله الذي تناول عصرهم في كتابه ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين الى التصريح بندرة المادة عنهم، وزيادة على ذلك فان وفاة المؤرخ ابن خلدون في العقد الاول من القرن التاسع للهجرة – الخامس عشر للميلاد قد افقدنا مؤونة تاريخية، وتفصيلات دقيقة عن مجتمع المغرب واحواله، وهو ما يعانيه أي باحث يدرس تاريخ المغرب بعد وفاته.

ومهما يكن من امر، فقد كانت تلك الصعوبات، وجدة الموضوع، حافزاً لنا على التقصي والبحث، فخرجنا بنتائج كشفت لنا حقيقة دور اليهود، واثارهم الخطيرة التي تركوها في المغرب المريني واخرها زوال دولة المرينيين بسببهم.

يعتبر اليهود من بين الاقليات الدينية التي استقرت منذ وقت مبكر في بلاد المغرب العربي[1]، وبعد انتشار الاسلام في حواضره انتفعت تلك الاقلية من روح التسامح التي سادت في مجتمعه، فاختارت عدداً من مدنه سكناً لها على وفق مقتضيات المهن التي مارسوها، وعرفوا بها[2].

وبحلول العصر المريني (668-869هـ/ 1269-1464م) اشارت اغلب المصادر التي تناولت بدايتهم الى استقرار اليهود في العاصمة فاس، اذ ذكر ابن ابي زرع ان السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني (656-685هـ/1258-1286م) مؤسس دولتهم قد انزلهم في حي الملاح الواقع ازاء فاس الجديد بعدما اخرجهم من فاس الادريسية[3] وكان تاريخ امر بنائه في اليوم الثاني من شوال سنة (674هـ/1275م)[4]، بينما يذكر اخر ان السلطان عثمان بن يعقوب (710-731هـ/1310-1331م) كان قد بنى مدينة حمص التي اسسها في فاس الجديد المعروفة ايضاً بالملاح[5] والتي قيل انها اتخذت حياً لليهود[6]، وبجانبه ربض النصارى المخصص لسكن الحامية المكلفة بحراسة السلطان[7]. ومما هو جدير بالذكر ان الاشارة الى الملاح لم تقتصر على اليهود فحسب بل استعملت في الحقب اللاحقة من عهد المرينيين ثكنات للجند النصارى اذ قدرت اعدادهم في فاس بثلاثمائة مقاتل عند استلام المرينيين حكم المغرب، وقد وظفهم السلطان يعقوب بن عبد الحق لاستكمال عملياته ضد تلمسان، وقد بلغوا فيما بعد الفاً وستمائة مقاتل و كان رئيس جندهم في زمنه المدعو كارسي مارتينيز كاليكوس وهو احد السفراء الذين ذهبوا الى اسبانيا لفك الحصار عن الجزيرة الخضراء[8]، كما اتخذ الملاح ايضاً وكراً لمعاقرة الخمور بعيداً عن انظار الناس[9].

واذا كانت المصادر قد ركزت على استقرارهم في فاس بوصفها عاصمة للمرينيين جرياً على حال من سبقهم من المؤرخين من امثال البكري الذي ذكر ان اليهود كانوا يختلفون منها الى جميع الافاق[10]، فان الوزان الذي عاش في منتصف القرن العاشر للهجرة – السادس عشر للميلاد قد حدد مناطق سكنى اليهود في مدن المغرب الاقصى وان كان قد نبه في معرض حديثه عنهم في فاس بان عددهم تزايد بعد اجلائهم من الاندلس[11]، ومنها هجرة سنة 794هـ/1391م اذ هاجر الى المغرب عدد غير قليل من يهود الاندلس[12]، وعرفوا بالمهاجرين اذ استوطنوا فاساً، ودخل كثير منهم الاسلام[13].

لقد وجدهم الوزان خلال رحلته في اقليم حاحة في مدن تدنست وهادكيس وآيت داؤود، وجبل دمنسرة من جبال الاطلس حيث رآهم يحملون السلاح ويحاربون لحساب رؤسائهم من سكان منطقتهم، ويطلق على طائفتهم بـ (القراؤون)، كما وجدهم في اقليم السوس في مدينتي تيوت وتيدسي وفي جبل هنتاتة

وهم كذلك من الطائفة نفسها آنفة الذكر، وفي مدينتي آسفي وازمور من دكاله وفي المدينة من هسكورة، واحصى عددهم في مدينة تفزة وقدرهم بمائتي بيت، اما في اقليم تادله فقد لاحظهم في مدينتي آيت عتاب وآيت آياد[14]، ويضيف لنا الحميري انهم استقروا سجلماسة جنوب البلاد بأعداد قليلة من الصناع[15]، وهو ما سبقه به صاحب الاستبصار الذي ذكر انهم غدوا اصحاب اموال ممدودة[16]، واخيراً فقد ذكر اخر يهود سبتة[17].

ان اكثر المعلومات التي بين ايدينا تفيد ان اليهود لم يواجهوا اجراءات ادارية حادة اتخذت بحقهم في العصر المريني مقارنة مع اجراءات الموحدين، اذ ميزهم الخليفة المنصور الموحدي سنة 595هـ/1199م باللباس الذي عرف بالشكله وهي عبارة عن البسة كحلية واكمام مفرطة السعة تصل الى اقدامهم، و وضع قلانس بدلاً من العمائم على رؤوسهم، واستمر ذلك حتى عهد ولده الذي غيرها بثياب وعمائم صفر، وقد ادعوا دخول الاسلام، وفي هذا يقول المنصور الموحدي: " لو صح عندي اسلامهم لتركتهم يختلطون بالمسلمين في انكحتهم وسائر امورهم"[18] كما تظهر المعلومات التي بين ايدينا ان الشكلة استمرت عند يهود تونس على عهد الحفصيين اذ الزموا بها سنة 648هـ/1347م[19]، وهي كما يصفها هوبكنز عبارة عن قميص طولها ذراع في عرض ذراع، وبرانس وقلانس زرق[20]. كما يذكر ان العهد الوطاسي (876-961هـ/1471-1553م) قد فرض عليهم نعال خاصة، والزموا بلبس عمامة سوداء او طاقية يضاف اليها قطعة من القماش الاحمر[21].

لقد فرضت الدولة المرينية الجزية على اليهود استناداً على ما جاء في القرآن الكريم، ووردت اشارات عنهم تفيد باعطائهم الجزية منذ عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق الذي خصصها بدوره للإنفاق على المصابين بالجذام والعميان والفقراء[22]، وتسعفنا معلومة متأخرة انهم كانوا يدفعونها في مدينتي تادنست في حاحة وتيوت في السوس على شكل هدايا عوضاً عن المبالغ النقدية المقررة عليهم[23]، وقد بلغ مقدارها على من تقع عليه شرعاً في الحواضر والبوادي ما قيمته اربعة دنانير مرينية وتساوي اربعين درهماً بالوزن الشرعي[24].

وبغية التعرف على صورته في المجتمع المريني، والوظائف الادارية التي عملوا بها، فيمكن القول ان الاحداث التي سجلتها المصادر التاريخية الوارد ذكرهم فيها قد اوضحت خللاً كبيراً في سلوكهم.

ففي اول اشارة يرد ذكرهم فيها وهي سنة 674هـ/1227م تشير الى قيام احدهم بالاعتداء على جارية مسلمة في فاس افتضها قهراً في داره، مما ادى الى قيام غليان شعبي تجاههم، لم يتوقف الا بعد ان تدخل السلطان يعقوب بن عبد الحق بنفسه، وهو ما دفعه الى نقلهم الى حيهم الجديد[25].

وفي ميدان الخطط الادارية فقد سعوا الى التقرب من القصر السلطاني، حيث تمكنت اسرة يهودية تعرف ببني رقاصة من ملازمة الامير يوسف بن يعقوب من صغره، اذ كانوا يتولون قهرمة داره – أي

خصوصياته – ويقضون اموره، فعظم جاههم عند حاشيته لإقباله عليهم، فبرز منهم خليفة بن رقاصة واخوه ابراهيم وصهره موسى بن السبتي وابن عمه خليفة الاصغر، واستمر الامير يوسف في مجالسته لهم، حتى استفاق على افعالهم بعد ان وصلت الى مسامعه دسائسهم، واستغلالهم لاسمه فسطا عليهم في شعبان من سنة 701هـ/1301م بمعسكره خلال حصاره لتلمسان عاصمة بني عبد الواد وقتل منهم خليفة واخوه وصهره وابقى خليفة الاصغر حتى عرفت بنكبة بني رقاصة[26].

وما أشبه هذه النهاية بنهاية البرامكة على عهد الخليفة هارون الرشيد، الا ان الفارق بينهما هو بقاء خليفة الاصغر الذي ظل يخفي حقده على الكاتب عبد الله بن ابي مدين اعتقاداً منه بانه قد سعى ضد اسرته فظل رغم تقادم الزمن، وتدرج الاثنين في المناصب، ظل خليفة الذي عمل حاجباً لثلاثة سلاطين مرينيين[27] متحيناً الفرصة كي يبث سمومه في جسد ضحيته الكاتب عبد الله بن ابي مدين، اذ بلغ خليفة الاصغر حظوة عند السلطان ابي الربيع سليمان بن عبد الله بن يوسف (708-710هـ/1308-1310م) مالم يبلغها احد بحيث يقصر عنها الوصف حتى قيل ان جميع الجيش ينادونه بسيدي ابي خرز من بني مرين وغيرهم كل ذلك لتعظيم السلطان له وتوليته التصرف في دولته وتخوفاً منه[28].

لقد حاك الخليفة الاصغر في جنح الليل، وفي غفلة من السلطان مكيدة للكاتب عبد الله بن ابي مدين الذي كانت بيده علامة السلطان منذ عهد مؤسس دولتهم يعقوب بن عبد الحق[29]، حيث افتعل له امراً مع جارية السلطان ابي الربيع تعلمه في رسالة مزورة انها تحبه واعطاها خليفة لابي مدين اذ طلب منه ان لا يقرأها حتى يصل داره، فغادر قصر السلطان، بينما عاد اليهودي ليخبر سلطانه عن قصة الكاتب مع جاريته، فامتعض من ذلك، وامر برده اليه، فعاد مسرعاً لايعلم ما دبر له ظناً منه ان السلطان حدث له امر بأمره بإمضائه، فلما وقف بين يديه بحضرته امره ان يعطيه الرسالة التي في جيبه، فأعطاها اياها غير عالم بما فيها وانصرف الى داره، فأخذها السلطان واعطاها لكاتبه يحيى المليانى الذي تأكد بدوره من تطابق ما قاله اليهودي ثم اوعز للمليانى بقتله بعد ان حضر الى موضع السر الذي يعمل فيه[30].

وفي رواية اخرى ان السلطان سليمان امر قائد النصارى في جيشه غنصالو بقتله فقتله قرب قبر ابي بكر ابن العربي وهو يزوره[31].

كما يضيف الناصري رواية ثالثة عن مقتله مفادها ان خليفة الاصغر ادعى بان ابن ابي مدين يعرض باتهام السلطان سليمان بابنته وان صدره قد وغر وهو مترصد بالدولة ومتربص بها[32].

على كل حال، ففي اليوم التالي علم السلطان سليمان بالخديعة التي اوقعه بها اليهودي، وبخاصة لما بلغ نبأ صوته اعيان بني مرين جازمين بان ذلك خديعة من اليهودي، فبحثوا في القضية فوجدوا من زور الرسالة لليهودي فاحضروه بين يدي السلطان واعلموه ان اليهودي هو الذي امر بكتابتها عن اذن الجارية ولا علم

لابي مدين بذلك، ولما قابل السلطان سليمان الخطين، تحقق من براءة ابي مدين، فامر بقتل الحاجب اليهودي قصاصاً منه على جرمه[33].

ومما هو بالجدير بالذكر ان المصادر التاريخية المغربية قد سكتت تماماً عن الاشارة الى استلام أي منهم وظيفة في الادارة المرينية حتى نهايتها، ما عدا ما ورد من اشارات منبثة هنا او هناك تعكس سخط الدولة والعامة منهم لافتعالهم ازمات اقتصادية في مجتمعات مدن المغرب، ولعل ابعاد السلطان علي بن عثمان المريني (731-752/1331-1352م) لهم عن وظائف الدولة ما يفسر رد الفعل تجاههم اذ يخبرنا البعض ان السلطان المذكور لم يستعمل احداً من اهل الذمة في خطط دولته كوظيفة الخراج والديوان والحساب والمساحة، ولم يتخذهم اطباء ولاخزنة اموال[34]، الا ان الملفت للنظر على صعيد دولة السلطان علي بن عثمان قصة التسلل على عاصمته فاس للإطاحة بنائبه الامير منصور بن ابي مالك بن علي الذي اودعه جده في فاس الجديد عند حملته على تونس الحفصية، اذ لما شاع نبأ مقتله في القيروان[35]، تقدم ولده الامير ابو عنان للسيطرة عليها وعزل ابن اخيه منها، فنشب بينهما صراع رجحت فيه كفة الامير ابي عنان الذي ضرب حصاراً على ابن اخيه في جمادي الاخر سنة 749هـ/1348م وتمادى على حاله في الشدة والضيق حتى تمكن من دخول المدينة عنوة يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شوال سنة 749هـ/1348م[36].

الا ان الامر الغريب في ذلك ان اقتحام العاصمة قد تم من خلال حي الملاح المخصص لليهود كما هو معروف، ذلك ما صرح به المؤرخ ابن الاحمر بنصه: "ودخل البلد – ابو عنان – عنوة بممالات من اوشاب القبائل من موضع يقال له الملاح"[37]. والسؤال الذي يلح علينا في ذلك هل يا ترى انهم ارادوا من تسهيل مهمة التسلل الى فاس عن طريق الملاح كسب ود ابي عنان عله يعوضهم عما فقدوه في عهد ابيه! والجواب الذي تقدمه المصادر ان ابا عنان قد سار على نهج ابيه في التعامل مع اهل الذمة، ولم يتبدل حاله[38].

وزيادة على ذلك فقد عكست بعض المؤلفات المغربية الاصداء الشعبية والثقافية عنهم اذ ألف ابن النقاش الدكالي (ت 763هـ/1316م) كتاباً بعنوان "المذمة في استعمال اهل الذمة"[39].

كما ظلت الدولة المرينية حريصة على عدم اشتغالهم في وظائفها، وهو ما عبر عنه احد وزرائها الذي زار القاهرة سنة 700هـ/1301م والتقى بالناصر مُحَمَّد بن قلاوون حيث عبر عن استيائه من جراء ما شاهده من تمتع يهود مصر بالامتيازات والوظائف، اذ لم يكن ذلك جارياً في بلاده فشن حملة اتت اكلها فالزموا من يومها بلبس العمائم الصفر، واعفوا من وظائفهم التي كانوا يتولونها لدى الامراء او في ديوان السلطان[40].

وهكذا استمرت احوال الدولة المرينية في نهجها معهم ولما قدر لآخر سلطان ان يتنصل عن ذلك كتب نهاية دولتهم بيديه فقد ذكرت المصادر ان السلطان عبد الحق بن سعيد (823-869هـ/1420-1464م) كان قد اعتقل وزيره يحيى بن يحيى بن عمر الوطاسي الذي خلف الوزير علي بن يوسف سنة 863هـ/

1458م، وكان اقل كفاءة من سلفه فعزل عدداً من الولاة والموظفين وعين اخرين مكانهم، مما اثار حفيظة السلطان عبد الحق بن ابي سعيد الذي عاش اربعين سنة تحت وصاية الوزراء الوطاسيين، فاعتقل وزيره واسرته واعدمهم، ولم ينج من تلك المذبحة غير مُحَمَّد الشيخ[41] الذي لجأ الى اصيلا وتحصن بها .. ثم نمى اليه نقمة العامة والخاصة عليه بعد ايقاعه بالوطاسيين فاتخذ قراره الخطير بتعيين يهوديين في وزارته هما شاويل وهارون تكاية بهم وامعاناً في اهانتهم، وزيادة في التنكيل بهم عين الوزير هارون رجلاً يهودياً من مهاجري الاندلس على شرطته قيل عنه : انه كان لا يألُ جهداً في العسف واستلاب الاموال .. والناس في شدة[42].

لقد ارغم الوزراء اليهود الناس بالضرب والعقاب على اداء الضرائب، ومنحوا اليهود من مهاجري الاندلس امتيازات واضحة في احتكار التجارة في اسواق فاس، وبينما كان السلطان عبد الحق غائباً في حركة له ببعض النواحي، قام اليهودي صاحب الشرطة بالاعتداء على امرأة شريفة من اهل حومة البليدة في فاس بالإهانة والضرب، فثار اهل فاس، وتوجهوا صوب خطيب القرويين الفقيه عبد العزيز بن موسى الورياكلي وقالوا له : "الا ترى الى ما نحن فيه من الذلة والصغار وتحكم اليهود في المسلمين والعبث بهم حتى بلغ حالهم الى ما سمعت" .. فلما سمع ذلك خلع السلطان عبد الحق ونصب بدلاً عنه ابا عبد الله الحفيد نقيب الشرفاء الادارسة سلطاناً على البلاد، ثم اتجهوا جميعاً الى فاس الجديد حيث فتكوا باليهود المسببين بذلك الحادث، ووصل خبر ما جرى للسلطان عبد الحق الذي أنفض راجعاً الى العاصمة، وفي الطريق بدأت قواته تنفض عنه، أما الباقون منهم فقد القوا القبض على وزيره هارون وقتلوه ثم اعتقلوا السلطان عبد الحق الذي اقتيد الى العاصمة، ثم لقي بعدها مصرعه صبيحة يوم الجمعة السابع والعشرين من رمضان سنة 869هـ/1464م، ودفن ببعض مساجد فاس الجديد، وبموته انتهت الدولة المرينية الذي دام حكمها أكثر من قرنين[43].

واذا كانت نهاية الدولة المرينية بسببهم فان المصادر التاريخية قد رسمت صورة لهم في الحياة الاقتصادية وما نجم عن ذلك من أزمات اقتصادية وتخريب سافر الحق ضرراً بليغاً في مجتمعهم .

وابتداء فقد أجمل مؤرخ مريني المهن التي زاولوها في فاس، حيث ذكر أن من أسلم منهم قد مارس مهنة الخياطة ونسج القلانس والحجامة والبلاجه والدلالة في الاسواق وبيع الالبان وإصلاح وبيع النعال[44]، بينما أحترف الموالي منهم صنع الخبز والقدور وعصر الزيت وصناعة الصابون وبيع الملح والسمك وصناعة الحلوى وبيع الاعشاب وتسفير الكتب وطلاء الدور، وتزويق الخشب، وصناعة أدوات الحياكة والصفر والصباغة، وخدمة الحمامات، وسقي الماء، وبعض الصناعات الغذائية، وبيع الصوف والكتان والات الطرب، وسك النقود وحلي النساء، وصناعة وبيع المرجان وكراء أواني البناء وحفر الآبار وتصفية المعادن والرخام[45].

واذا كان ما تقدم يغطي المهن التي زاولوها في مجتمع العصر المريني فإن مصدراً آخر قد ذكر أنهم زاولوا مهنتي البناء والصياغة في سجلماسة لقربها من مصادر الذهب ولتمتعهم بخبرة في هاتين الحرفتين[46].

أما في حقلي الصياغة والنقد، فان الممارسات الاقتصادية التي تسببوا بها أضرت بالاقتصاد المريني و أجبرت الدولة على اتخاذ سلسلة من القرارات كان أولها القرار الذي اتخذه السلطان علي بن عثمان بمنعهم من الاشتغال ب"الصياغة والصرف والقبض وكل ما فيه غش للمسلمين"[47]. وكانوا في كل مرة يقدمون العهود أمام سلاطين الدولة بالالتزام، والعمل تحت أشراف أمين دار السكة فقد صدر مرسوم من السلطان ابي عنان في الرابع من ذي الحجة سنة 756هـ/1355م يلزمهم بأن "لا يبيعوا شيئاً من المصوغات من الحلي وغيره الا بعد عرضه على أمين دار السكة، وطبع ما يقبل من ذلك، والا ينتصب للصرف الا من يوثق به، ولا يغش المسلمين ولا يناكرهم ولا يعاملهم بالربا، والا يعاملوا مسلماً بما أباحوه لأنفسهم من المداينات بالمطالع ولا بما أمسكوا لهم رهاناً وان لايدخل عندهم احد ممن يتهم بشرب الخمر وغير ذلك من الفواحش الممنوعة شرعاً، والتزم ذلك أشياخهم وألزموه سائر أهل جزيتهم"[48].

ولقد شددت الدولة المرينية بإجراءاتها على اليهود والزمتهم بالتعامل بالنقد الخالص وتجنب الزائف منه بأمر صدر من السلطان ابي فارس عبد العزيز بن ابي الحسن (767-774هـ/1365-1372م)[49].

ومع كل ذلك التشديد وتلك المراقبة، فقد ذكر عنهم أنهم قاموا بدار السكة في سجلماسة بأخذ كمية من الفضة عند عملية السبك ووضعوها في جوف قطعة من الفحم الذي سبكوه به بعد ثقبها وذره فيها فاخذوا ذهباً يساوي مقدار من الفضة التي وضعوها[50].

كما أستغل اليهود سك النقود احياناً خارج دور الضرب، اذ ترد اشارة الى ان فندق الشماعين في فاس كان مكاناً لسك النقد[51]، وكانت أجرة ضرب كل مائة دينار من الذهب هي دينار وستة أثمان ولكل أوقية من الفضة حساب درهمين، وهذا ما شجع اليهود على استغلال ذلك، فكثرت شكاوى الناس من الاعيبهم مما دفع الدولة الى تحضير المعدن والجهاز الاداري لتولي ذلك بعيداً عنهم[52].

ومن جانب أخر فقد كانت ظاهرة الصيارفة التي غلبت على معاملتها الفساد والربا مقترنة باليهود الذين اعتمدوها تحقيقاً للربح الفاحش وبخاصة في استغلال التجار وتسلفهم تسييراً لمعاملاتهم التجارية، وهذا ما أشاع الفتاوى التي حذرت التعامل بذلك والتزام الحدود الشرعية الواجب العمل بها[53].

أما على صعيد الحياة التجارية فقد بينت المصادر اشتغالهم بالتجارة فمما يذكر عن يهود فاس وسبتة انهم كانوا على صلة مع يهود مرسيليا لضمان الاخيرين في تجارة السودان[54]، كما اشتغلوا مترجمين بين المغرب وأوربا[55]، ووسطاء بين دول البحر المتوسط في افتداء الاسرى والمسجونين[56]، وعملوا في جهاز التفتيش على أبواب المدن، اذ وجدوا على ابواب تلمسان لمراقبة البضائع وفحص المسافرين والتجار وقد أساءوا لكل من مر عند تفتيشه نساء او رجالاً حتى ***اعفاهم السلطان علي بن عثمان المريني منها[57].

ومما هو جدير بالذكر ان المصادر لم تشر الى اشتغالهم بالزراعة بوصفها مصدراً من الكسب الحلال[58]، وان خيرها متعد للزراع[59] وغيرهم عدا اشارة متأخرة جاءت عن العصر السعدي تفيد احتكارهم لمعاصر السكر حيث تتعاقد الدولة مع أهل الذمة على مزارعه ومعاصره مقابل مبلغ سنوي[60].

الخاتمة:

يتبين من كل ما تقدم ان اليهود استغلوا الدولة المرينية، وعبثوا بكل زاوية توفرت امامهم، مسخرين كل شيء من اجل الربح، ضاربين عرض الحائط مصلحة البلاد والعباد، ففي الجانب السياسي، ظهر ان اليهود ورغم العناية التي ابدتها الدولة المرينية لهم قد أساءوا، وسعوا الى خلق الازمات السياسية في البلاد، وتسببوا بقتل شخصيات مرينية عرفت بولائها للدولة، رغبة منهم في التفرد والهيمنة على سلاطينها.

وزيادة على ذلك فقد عملوا في الخفاء على الاطاحة ببعض سلاطينها غير هيابين للنتائج التي يمكن ان تحصل جراء ذلك الاقتتال، المهم عندهم أن يزيحوا ذلك السلطان المريني الذي استجاب لمصلحة البلاد ووجد ان اليهود قد عبثوا في وظائف الدولة فنحاهم عنها.

وليس اوقع تأثيراً على الدولة المرينية مما حصل لها بسببهم في نهايتها، اذ كانت لممارساتهم اليومية وايذائهم للناس الاثر البالغ في قيام ثورة شعبية في العاصمة فاس اطاحت بآخر سلطان مريني بعد ان قبل هو بتعيين وزيرين وصاحب شرطة منهم.

اما في الجانب الاقتصادي فقد توصل البحث الى نتائج منها، ان اليهود لم يمارسوا اية مهنة في الدولة المرينية الا بقدر ما تحقق لهم من ربح، وما فيها من وسائل يمكن لها ان توصلهم إلى تلك الغاية، فزيفوا في النقد، وتعاملوا بالربا، ومارسوا الحيل في المهن التي اشتغلوا بها، ورغم الاجراءات الاقتصادية التي توالت من الدولة في الحد من ممارساتهم التخريبية الا ان الواقع اثبت امعانهم فيها رغم التحذير والوعيد.

وزيادة على ذلك، فقد اظهرت نتائج البحث، انهم ابتعدوا عن المهن التي تحقق كسباً حلالاً كالزراعة، ومارسوا اية مهنة حتى ولو كانت متدنية لقاء ما تحققه من ربح مالي فاحش.

الهوامش :

1- خليل أبراهيم الطيار – يهود الاقطار العربية (بغداد، 1990) 216.

2- روجيه لوتورنو - فاس في عصر بني مرين، ترجمة نقولا زيادة، ط1مؤسة فرانكلين للطباعة والنشر (بيروت، 1967)53-54؛صلاح العقاد –اليهود في المغرب العربي، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، العدد3، اذار (القاهرة، 1972)، 37-38.

3- مُحَمَّد المنوني-ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية (الرباط-1979)26.
4- أحمد بن مُحَمَّد، ابن القاضي- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس، نشر دار المنصور للطباعة والوراقة (الرباط، 1937)51/1.
5- احمد بن يحيى بن فضل الله، العمري، مسالك الابصار في ممالك الامصار، من الباب الثاني الى الباب الرابع عشر، تحقيق وتعليق مصطفى ابو ضيف ط1.(الدار البيضاء، 1988)114-115.
6- احمد بن علي القلقشندي-صبح الاعشى في صناعة الانشا، شرحه نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية(لبنان، 1987)149/5.
7- العمري- مسالك الابصار:115
8- عبد الهادي التازي-التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور الى اليوم، مطبعة فضاله (المحمدية، 1986-1988)283/2-284.
9- احمد بن خالد الناصري –الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، تحقيق جعفر الناصري ومُحَمَّد الناصري (الدار البيضاء، 954-1959)42/4.
10- المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب، تحقيق البارون دي سلان (الجزائر، 1857)155.
11- الحسن بن مُحَمَّد الوزان –وصف افريقيا، ترجمة عبد الرحمن حميدة، مراجعة علي عبد الواحد، نشر جامعة مُحَمَّد بن سعود(السعودية، 1978)، 285.
12- Manuel,ortega:los hebreos en marruccos p.63
نقلاً عن ابراهيم حركات - المغرب عبر التاريخ، نشر دار الرشاد الحديثة (الدار البيضاء-1978)113/2.
13- ابراهيم حركات – المغرب عبر التاريخ:76/2.
14- وصف افريقيا، 110، 113، 117، 123، 129، 131، 154، 167، 172، 184، 190، 191، 192.
15- الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، ط2، مكتبة لبنان (بيروت 1984) 306
16- مجهول مؤلفه – الاستبصار في عجائب الامصار، نشر سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية (بغداد، 1986).
17- نشاط مصطفى – التجارة بالمغرب الاقصى خلال العهد المريني الاول 668-759هـ، الدراسات الجامعية، كلية الآداب (فاس، 1986) 72.
18- عبد الواحد بن علي المراكشي – المعجب في تلخيص اخبار المغرب، اختيار وتقديم الدكتور احمد بدر، منشورات وزارة الثقافة (دمشق، 1978) 208-209؛ الفرد بل – الفرق الاسلامية في

الشمال الافريقي من الفتح العربي حتى اليوم ترجمة عن الفرنسية عبد الرحمن بدوي، دار ليبيا للنشر (بنغازي، 1969) 326-327.

19- مُحَمَّد بن ابي القاسم، ابن ابي دينار – المؤنس في ذكر بلاد افريقيا وتونس، تحقيق وتعليق مُحَمَّد شمام، ط3، المكتبة العتيقة (تونس، 1967) 135.

20- النظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى، نقله عن الانجليزية د. امين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب (ليبيا – تونس، 1980) 123-124.

21- تقييد عن البلديين بفاس ورقه 4 للزيالي، نقلاً عن ابراهيم حركات – المغرب عبر التاريخ، 219/2.

22- ابن ابي زرع – الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، نشر دار المنصور للطباعة والوراقة (الرباط، 1973) 298، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، نشر دار المنصور للطباعة والوراقة (الرباط، 1972) 91.

23- الوزان – وصف افريقيا: 47.

24- الدرهم بالوزن الشرعي مقداره 46 حبة ووزنة 2.97 غرام اما النسبة الشرعية له مقارنة مع الدينار فهي 10:7 للمزيد عن الموضوع ينظر علي بن يوسف الحكيم – الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق حسين مؤنس، ط2، دار الشروق (القاهرة، 1986) 99 والهامش رقم 3.

25- ابن ابي زرع – الذخيرة السنية، 161؛ الانيس المطرب: 332،404، مجهول مؤلفه – الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، دار الرشيد (الدار البيضاء، 1979) 176.

26- الناصري – الاستقصا :3/80-81.

27- ابو الوليد اسماعيل بن يوسف، ابن الاحمر – روضة النسرين في دولة بني مرين، ط2، مطبوعات القصر الملكي (الرباط، 1962) 21،23.

28- ابن الاحمر – بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة، (الرباط، 1982)، 58.

29- ابو الوليد – اسماعيل بن يوسف، ابن الاحمر – مستودع العلامة ومستبدع العلامة، تحقيق وتعليق مُحَمَّد التركي التونسي ومُحَمَّد بن تاويت، نشر كلية الآداب، بمساهمة معهد مولاي الحسن (تطوان، 1964) 41.

30- ابن الاحمر – بيوتات فاس الكبرى: 48،59.

31- احمد بن مُحَمَّد، ابن القاضي – جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس، نشر دار المنصور للطباعة والوراقة (الرباط، 1973) 438/2.

32- الاستقصا: 100/3.

33- ابو الوليد اسماعيل بن الاحمر – النفحة النسرينية واللمحة المرينية مخطوط الاسكوريال، مدريد برقم 1773 ورقة 26-27؛ ابن القاضي – جذوة الاقتباس: 438/2.

34- مُحَمَّد بن احمد بن مرزوق – المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا ابي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (الجزائر، 1970)، 381،378.

35- تمكن السلطان المريني علي بن عثمان الملقب بأبي الحسن سنة 748هـ/1347م ان يدخل تونس وينهي دولة الحفصيين منها واجرى تغييرات ادارية مست مصالح قبائل سليم وهلال فتحينوا الفرصة للانقضاض عليه، وتمكنوا من محاصرته في منطقة القيروان في 8 محرم سنة 749هـ/ 9 نيسان 1348م، فشاع بعدها خبر هزيمته ومقتله للمزيد عن ذلك ينظر عبد الرحمن بن خلدون – العبر وديوان المبتدأ والخبر مؤسسة الاعلمي (بيروت 1959) 275/7-276؛ احمد بن حسين، ابن قنفذ – الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق مُحَمَّد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر (تونس، 1968)، 170؛ مصطفى احمد ابو ضيف. اثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين، دار النشر المغربية (الدار البيضاء، 1982) 180-181.

36- ابن خلدون – العبر: 278/7-280.

37- النفحة النسرينية: ورقة 34-35.

38- علي الماحي – المغرب في عصر السلطان ابي عنان، نشر دار النشر المغربية (الدار البيضاء، 1986)، 254.

39- عبد العزيز بن عبد الله – الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، ط1، مطبوعات وزارة الاوقاف المغربية (المعرب، 1975)، 60/2.

40- احمد بن علي تقي الدين، المقريزي – المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، مطبعة المثنى (بغداد، 1970) 498/2؛ حياة ناصر الحجي – العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الاسبانية في القرنين الثامن والتاسع الهجري، ط1 (الكويت، 1980) 9-10؛ قاسم عبده قاسم – اليهود في مصر منذ الفتح حتى الغزو العثماني، المؤسسة العربية للدراسة والنشر (بيروت، 1980) 38.

41- تمكن مُحَمَّد الشيخ الوطاسي بعد تلك الاحداث من الاستيلاء على فاس سنة 876هـ/1471م بعد ان عزل ابا عبد الله الحفيد الذي لجأ الى تونس وبذلك يعتبر اول حاكم وطاسي استمر حكمه حتى سنة 910هـ-1505م للمزيد عن ذلك ينظر، مُحَمَّد الكراسي – عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل المطبعة الملكية (الرباط، 1963) 13-22؛ حركات – المغرب عبر التاريخ: 196/2 وما بعدها.

42- الناصري- الاستقصا: 97/4-98.

43- الناصري- الاستقصا: 4/99-100؛ حركات – المغرب عبر التاريخ: 76/2؛ شارل اندريه جوليان – تاريخ افريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلام، الدار التونسية (تونس 1969) 254/2.
44- ابن الاحمر – بيوتات فاس الكبرى: 24.
45- ابن الاحمر – بيوتات فاس الكبرى: 25.
46- الحميري – الروض المعطار: 306.
47- الحكيم – الدوحة المشتبكة: 137.
48- الحكيم – الدوحة المشتبكة: 139.
49- الحكيم – الدوحة المشتبكة: 139-140.
50- الحكيم – الدوحة المشتبكة: 79.
51- ابن مرزوق – المسند الصحيح: 230-233.
52- الحكيم – الدوحة المشتبكة: 94-96.
53- احمد بن يحيى الونشريسي- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقيا والاندلس والمغرب، بإشراف محمد حجي، ط3، دار الغرب الاسلامي (بيروت 1981):5-44، 6-306، 2-64.
54- مصطفى – التجارة بالمغرب الاقصى: 72.
55- M, AMARI-I Diplomi Arabi B.Archirio florentino, P128-129.
56- نجاة باشا – التجارة في المغرب الاسلامي في القرن الرابع الهجري الى القرن الثامن الهجري. منشورات الجامعة التونسية (تونس 1976)، 77.
57- ابن مرزوق – المسند الصحيح: 215.
58- علي الجزنائي – جني زهرة الاس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية (الرباط،1967) 61.
59- ابو عبد الله محمد العبدري، ابن الحاج – المدخل الى تنمية الاعمال بتحسين النيات التنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت المطبعة الشرقية (مصر، 1320هـ) 3-37.
60- عبد العزيز بن محمد الفشتالي – مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تحقيق عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الاوقاف (الرباط، 1972) 210؛ عبد الكريم كريم –المغرب في عهد الدولة السعدية، ط2، شركة الطبع والنشر (الدار البيضاء، 1977)، 257.

مصادر البحث

المخطوطات:

- ابن الاحمر/ ابو الوليد اسماعيل بن يوسف بن محمد ت 810هـ / 1407م

النفحة النسرينية واللمحة المرينية، مخطوطة الاسكوريال، مدريد، برقم 1773.

المصادر المطبوعة:

- ابن الاحمر/ ابو الوليد اسماعيل بن يوسف بن محمد ت 810هـ/1407م

مستودع العلامة ومستبدع العلامة، تحقيق وتعليق محمد التركي التونسي ومحمد ابن تاويت، نشر كلية الآداب، بمساهمة معهد مولاي الحسن(تطوان64).

- بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة (الرباط، 1982).

روضة النسرين في دولة بني مرين، الطبعة الثانية، مطبوعات القصر الملكي،المطبعة الملكية (الرباط.1962).

- البكري/ عبد الله بن عبد العزيز المرسي ت487هـ/1097م.

المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب تشردي سلان (الجزائر،1857).

- الجزنائي/ علي الجزنائي، ت بعد سنة 766 هـ/1364 م.

جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية (الرباط، 1967).

- ابن الحاج/ ابو عبدالله محمد بن محمد ت 737هـ/1336.

المدخل الى تنمية الاعمال بتحسين النبات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها وقبحها، طبع على نفقة مصطفى فهمي الكبتي وشريكيه، المطبعة الشريفة(مصر،1320 هـ).

- الحكيم/ علي بن يوسف كان حياً سنة 768 هـ/1366م.

الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة. تحقيق حسين مؤنس، الطبعة الثانية، دار الشروق (القاهرة، 1986).

- الحميري/ محمد عبد المنعم ت 710هـ/1310م.

الروض المعطار في خبر الاقطار،تحقيق احسان عباس، الطبعة الثانية، مكتبة لبنان (بيروت، 1984).

- ابن خلدون/ عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي ت 808هـ/ 1405م.

التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً نشر دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري (بيروت، 1979).

- العبر وديوان المبتدأ والخبر مؤسسة الاعلمي للمطبوعات (بيروت، 1959).

ابن ابي دينار/ محمد بن ابي القاسم القيرواني ت 1110هـ/ 1699م المؤنس في ذكر بلاد افريقيا وتونس تحقيق وتعليق محمد شمام، الطبعة الثالثة، المكتبة العتيقة (تونس، 1967).

- ابن ابي زرع/ ابو الحسن علي بن عبد الله، ت741هـ/ 1340م.د الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، نشر دار المنصور للطباعة والوراقة (الرباط، 1972).

- الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، نشر دار المنصور للطباعة والوراقة (الرباط، 1973).
- العمري/ احمد بن يحيى بن فضل الله، ت 749هـ/ 1348م.
مسالك الابصار في ممالك الامصار من الباب الثاني الى الباب الرابع عشر، تحقيق وتعليق مصطفى ابو ضيف، الطبعة الاولى، (الدار البيضاء، 1988).
- الفشتالي/ عبد العزيز بن مُحَمَّد بن ابراهيم، ت 1031هـ/ 1621م
مناهل الصفا في مأثر موالينا الشرفا تحقيق،عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافية (الرباط، 1972).
- ابن القاضي/ احمد بن مُحَمَّد المكناسي، ت 1025هـ/ 1613م
جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس، نشر دار المنصور للطباعة والوراقة (الرباط، 1973).
- القلقشندي/ احمد بن علي، ت 821هـ/ 1418م.
صبح الاعشى في صناعة الانشا، شرحه نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، (لبنان، 1987).
- ابن قنفذ/ احمد حسين بن علي، ت 810هـ/ 1407م.
الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية تحقيق،مُحَمَّد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، (تونس، 1968).
- الكراسي/ ابو عبد الله مُحَمَّد، ت 964هـ/1559م.
عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل، مطبوعات القصر الملكي، المطبعة الملكية، (الرباط، 1963).
- مجهول مؤلفه، كان حياً في القرن الثامن الهجري.
الاستبصار في عجائب الامصار،نشر سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية (بغداد، 1986).
- مجهول مؤلفه، عاش في القرن الثامن الهجري.
الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية تحقيق،سهيل زكار و عبد القادر زمامة، الطبعة الاولى، دار الرشيد (الدار البيضاء، 1979).
- المراكشي/ عبد الواحد بن علي، ت647هـ/1249م.
المعجب في تلخيص اخبار المغرب، اختيار وتقديم دكتور احمد بدر منشورات وزارة الثقافة، (دمشق،78).
- ابن مرزوق/ مُحَمَّد بن احمد بن مُحَمَّد، ت 781هـ/1379م.

المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا ابي الحسن،تحقيق ماريا خيسوس بيفيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (الجزائر، 1970).

- المقريزي/ تقي الدين احمد بن علي، ت 845هـ/ 1441م.

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار (الخطط المقريزية)، الطبعة الثانية،مطبعة المثنى،(بغداد، 1970).

- الناصري/ ابو العباس احمد بن خالد، ت 1315هـ/1897م.

الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى،تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري،(الدار البيضاء 954هـ/1959م).

- الوزان/ الحسن بن محمد الزياتي، ت959-960هـ/1552م.

وصف افريقيا،ترجمة عبد الرحمن حميدة، مراجعة علي عبد الواحد، نشر جامعة الامام محمد بن سعود، (السعودية، 1978).

- الونشريسي/ احمد بن يحيى، ت914هـ/1058م.

المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقيا والاندلس والمغرب بإشراف محمد حجي، الطبعة الثالثة، دار الغرب الاسلامي، (بيروت، 1981).

المراجع العربية والمصرية:

- باشا/ نجاة، التجارة في المغرب الاسلامي في القرن الرابع الهجري الى القرن الثامن الهجري منشورات الجامعة التونسية، (تونس، 1976).

- التازي/ عبد الهادي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من اقدم العصور الى اليوم، مطبعة فضالة،(المحمدية، 1988-986).

- جوليان/ اندريه، تاريخ افريقيا الشمالية، ترجمة محمد فرالي، والبشير بن سلامة، الدار التونسية، (تونس، 1969).

- حركات/ ابراهيم، المغرب عبر التاريخ، الطبعة الاولى، نشر دار الرشاد الحديثة، (الدار البيضاء، 1978).

- ابو ضيف/ مصطفى احمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين.

- الطيار/ خليل ابراهيم، يهود الاقطار العربية، (بغداد، 1990).

- ابن عبد الله/ عبد العزيز، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضاري، الطبعة الاولى، مطبوعات وزارة الاوقاف المغربية، (المغرب، 1975).

- الفرد/بل،الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي الى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار ليبيا للنشر(بنغازي، 1969).

- قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر منذ الفتح حتى الغزو العثماني، المؤسسة العربية للدراسة و النشر (بيروت، 1980).
- كريم/عبد الكريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، الطبعة الثانية، شركة الطبع والنشر، (الدار البيضاء، 1977).
- لوتورنو/ روجيه، فاس في عصر بني مرين، ترجمة نقولا زيادة، الطبعة الاولى، مؤسسة فرنكلين للطباعة، (بيروت، 1976).
- الماحي/ علي حامد، المغرب في عصر السلطان ابي عنان المريني، دار النشر المغربية، (الدار البيضاء، 1986).
- المنوني/ مُحَمَّد، ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، مطابع الاطلس، (الرباط، 1979).
- موسى/ عز الدين احمد، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط1، دار الشروق، (بيروت، 1983).
- ناصر الحجي/ حياة، العلاقة بين سلطنة المماليك والممالك الاسبانية في القرنين الثامن والتاسع الهجري، الرابع والخامس عشر الميلادي، الطبعة الاولى، جامعة الكويت، (الكويت،1980).
- هوبكنز،النظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى، نقله عن الانجليزية د. امين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب (ليبيا – تونس، 1980).

الرسائل الجامعية:

- مصطفى/ نشاط، التجارة بالمغرب الاقصى خلال العهد المريني الاول 668هـ/759م، الدراسات الجامعية، كلية الآداب، (فاس، 1986).

المراجع الاجنبية:

- Michael, Amari,I Diplomi Arabi Archivo Del R, Archivio Florention Dalla Tipografio Di Felice Lelice Le Monnier 1963.